006

والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا وما به يميزون بعض الاشياء من بعض ويختارون
ما هو المختار عندهم يستأدى بذلك شكره وشكر كل نعمة في استعمالها في طاعة المنعم وعبوديته
كاستعمال الحواس في احتشام ما نصب من الايات واستعمال القلب في تفكر تلك الايات
والاستدلال بها على ما يجب عليهم مع الاستكمال والتحلي بالكمالات العلمية والعملية وادرج
فيه توبيخ العباد بان الشاكر منهم قليل كما قال وقليل من عبادي الشكور فقال وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقليلا منصوب
على انه صفة مصدر محذوف وما مزيدة للتاكيد اي حقا انكم تشكرون شكرا قليلا
وقيل ليس المراد ان لهم شكرا وان قل بل هو من قبيل قولك للكفور الشكور
الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان للمنعم ثم بين كمال قدرته وقوة سلطانه بقوله وهو الذي ذراكم
في الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا بل خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فان
خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهي لمجرد ان ينتهي حالهم الى الموت والفناء
من غير ان يميز بين المطيع والعاصي عبث ولعب تعالى شانه عن امثاله علوا كبيرا
ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
فان ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة
ومن ملك على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعد الموت
ثم قال افلا تعقلون اي افلا تعقلون ان من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء
بعد ما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره في عبادته اياه وتصرفون الشكر الى غيره
فيما انعم عليكم ثم قال بل قالوا مثل ما قال الاولون اي لم يعقلون ذلك ولم يتدبروا
فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعدوا ذلك بل
قالوا مثل ما قال اسلافهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون وهذا محال قوله
لانه يستعمل فيما يتلهى به لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة
يجيء لما فيه التلهي والسخرية نحو اضحوكة واحدوثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق
التلهي والطعن في القران فيكون انسب بهذا المقام وجعله جمع اسطار بفتح الهمزة جمع
بالتحريك بمعنى مسطور اي ما كتبه الاولون اقل ملائمة لغرضهم بالنسبة الى ملائمة جعله جمع
اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون
فقال قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فاجيبوني عما اقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله
سيقولون لله قل افلا تذكرون اي افلا تتعظون بعد هذا الاعتراف فيعلموا ان من فطر الارض

الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية
واستحقاق العبادة لان المستحق لها هو الرب الخالق دون المربوب المخلوق الذي لا يضر
ولا ينفع افلا تذكرون معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه قال اولا افلا تذكرون
ثم قال بعده افلا تتقون لانهم تذكرهم ليصلون الى المعرفة وبعد ان عرفوا علموا
انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفي قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم
لا يجدون بدا من ان يقولون لله ويقروا به لانهم لو انكروا لكذبهم النبي فيظهر جهلهم عند كل الخلائق ان /
فلما اضطروا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بالايقاع اليهم فاذا اعترفتم بان ذلك
كله لكم وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لا ادعوكم الا ان يوحدوه ويخلصوا
العبادة له وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله اي لا بد لهم من ان يقروا بذلك فقل لهم اذا اعترفتم ذلك واقررتم به افلا
تتقون مخالفته ونقمته وكذلك قوله قل من بيده ملكوت كل شيء الاية ذكر اولا الارض
ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ما هو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر
ما يعم الموجودات باسرها واختصاصه بملكوتها والملكوت الملك وزيدت التاء فيه
للمبالغة فهما وكل الملك والملك وقيل المعنى خزائن كل شيء وقيل ملكوت كل شيء روحه
الذي هو من عالم الملكوت وذلك الشيء قائم به يسبح الله تعالى به كما قال وان من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشيء يسبح الله تعالى قوله سيقولون
لله ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات الاول باللام باتفاق القراء واما الثاني والثالث
فقد قرا بالوجهين سيقولون لله ومن قرا الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار
يقال في جوابه زيد ومن قرا لله فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار
معناه لمن الدار قال الشاعر اذا قيل من رب القيان بموقف ورب الجياد الجرد قيل
لخالد وفي الكشاف قالوا فالثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاول الا في مصحف
البصريين فانها وحدها فيه قوله تعالى وهو يجير اي يغيث من يشاء من الخائفين ويمنعه
ثم ويجير في حقهم السوء ولا يجار عليه اي لا يغيث احد احدا منه ولا يمنع منه من اراده
بسوء قوله سيقولون لله لا تناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه انما قال ذلك
استهانة بهم وتجويزا في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين لفرط جهالتهم بالديانات
وذلك لا يستلزم انتفاء علمهم بذلك قوله فانى تسحرون يعني ان قوله فانى بمعنى فمن اين وقوله
تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الانبناء على اختلال العقل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1